مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد: 35، سبتمبر 2024، ص - ص: 431 - 440
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

التأثيرات اللغوية للهجرات الهلالية على المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (408-547هـ/1018-1152م) – دراسة تاريخية -

The linguistic effects of the Hilali migrations on the central Maghreb during the Hammadi era (408-547 AH / 1018-1152 AD) - A historical study-

طالبة دكتوراه أحلام لغريب[1]
LEGHRIB Ahlam
جامعة محمد بوضياف- المسيلة
مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
ahlam.leghrib@univ-msila.dz
أ.د/ عبد الغني حروز
Abdelghani HROUZ
جامعة محمد بوضياف- المسيلة
مخبر الدراسات التاريخية والسيوسيولوجية للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية
abdelghani.hrouz@ univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2023/05/02 تاريخ القبول: 2024/04/07

الملخص:
نقدم في هذه الورقة البحثية موضوعا مهما عن إحدى التأثيرات المهمة التي تصبغها الهجرات البشرية على الشعوب والمناطق الزاحفة عليها ألا وهو التأثير اللغوي، تأثير أبا إلا أن يرخي بظلاله في المنطقة المغرب أوسطية من طرف الهلاليين، هؤلاء الأعراب الذين نسجت وخيطت حولهم الحكايات، ونصبت لهم محاكم المناصفة والمحاججة حول ما أوقعوه من أثار تخريب في المنطقة المغربية غافلين عن الدور الايجابي لهم .

دور أردنا أن نقدمه لكم في هذه الورقة التي حملت عنوان: "التأثيرات اللغوية للهجرات الهلالية على المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (408-547ه/1018-1152م)"، فالسياسة الحكيمة للدولة الحمادية الرامية لاحتواء هذه العناصر، ساعدت على استقرارهم واحتكاكهم بالعناصر البربرية المحلية فغيروا لسانها وهذب لغتها للهجة جديدة قوامها اللغة العربية ، التي تعد أفصح من تلك المتواجدة في البلاد الشامية في تلك الفترة ، مخلفة أثرا ثقافيا متمثلا في تلك المفردات والتراكيب اللغوية، وصولا للأدب الشعبي من أشعار وأزجال بصبغة عامية مميزة لتزال إلي غاية اليوم.

الكلمات المفتاحية: الهلاليين؛ تعريب؛ الأدب الشعبي؛ اللهجة؛ المغرب الأوسط.

[1]- المؤلف المرسل.

Abstract:

In this research paper, we present an important topic about one of the important effects that human migrations have on the peoples and regions that are crawling on them, which is the linguistic effect, the influence of Abba, but to loosen its shadow in the Maghreb region by the Hilalians, these Arabs who were woven and sewn around them stories, and set up courts of parity and argument about the effects of sabotage they inflicted in the Maghreb region, oblivious to the positive role for them.

A role that we wanted to present to you in this paper entitled "The linguistic effects of the Hilalian migrations on the central Maghreb during the Hammadi era (408-547 AH / 1018-1152 AD)", the wise policy of the Hammadi state aimed at containing these elements, helped to stabilize them and friction with the local Berber elements, so they changed its tongue and refined its language to a new dialect based on the Arabic language, which is more eloquent than those in the Levantine countries in that period, leaving a cultural impact represented in those vocabulary and linguistic structures, up to literature. Popular poems and azjal with a distinctive colloquial dye to be removed until today.

Key words: Al-Hilaliyin; Arabization; folk literature; dialect; Middle Maghreb.

مقدّمة:

تعتبر الهجرات الهلالية لبلاد المغرب الأوسط من أهم الهجرات التي شاهدتها المنطقة المغاربية عبر العصور التاريخية المختلفة، لأنها هجرة أرخت بثقلها الثقافي على أهل المنطقة، وغيرت التركيبة اللسانية لساكنتها في فترة وجيزة حيرت معها الباحثين في ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية وكذلك في سياق الأبحاث التاريخية وبالأخص أصحاب المدرسة الاستشراقية.

فالتأثيرات اللغوية لهؤلاء الأعراب كانت أكثر تميز وحفرت في الذاكرة التاريخية لما حملته في طياتها من تغيير في المساقات التاريخية لكتلة بشرية محلية للمنطقة مقابل عنصر وافد استطاع أن يكتب ويغير تاريخ منطقة ويضمها إلى جانب الشعوب الناطقة باللغة العربية، ومن هنا اتضحت الأهمية التاريخية لمقالتنا والتي جاوبنا من خلالها على الإشكالية التالية: "إذا كان التواجد الهلالي في منطقة قطر الدولة الحمادية قدم تغييرات سياسية هامة، فيما تمثلت تجلياته الحضارية اللغوية ؟ وما هي أبرز مظاهر هذا التواجد والتعريب؟".

وللإجابة على هذه الإشكالية وتحقيقا للنتائج المرجوة الوصول إليها وتحقيقا لأطروحة تعريب المنطقة المغرب أوسطية وصبغها باللهجة العربية وببصمة العروبة، اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي المناسب لطبيعة الدراسة التاريخية التي تناولنا بها الموضوع، والتي ساعدتنا في بناء المعطيات التاريخية وربط الأحداث والإشارة إلى التأثيرات الرامية في تحقيق النتائج اللغوية المبتغاة.

وفيما يخص الدراسات السابقة، فهناك بعض الدراسات التي تناولت موضوع تأثير التعريب، لكن من زاوية أخرى، أهمها: التعريب في بلاد المغرب ودور قبائل بني هلال في التمكين له للباحثين بن سعيد بن ميرة وبغدد غربي وكذلك لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى – دراسة لقبائل الغرب الجزائري تاريخية – أنثربولوجية ولغوية للباحثة بولغيتي فاطنة.

1. التواجد الهلالي في المغرب الأوسط:

يعد التواجد الهلالي في المغرب الأوسط من المواضيع المهمة التي ركز عليها الباحثين مجهوداتهم وبالأخص منهم المستشرقين ، وذلك لما عرفته من تطورات سياسية ساعدت على استقرارهم في المنطقة، واندماجهم الحضاري فيها الذي مر عبر مراحل وتدفقات ليترك بصمات واضحة ليزال تأثيرها لغاية اليوم.

ولبد أن نشير إلى أن الحضور الهلالي في المنطقة المغرب أوسطية لم يعرف له التواجد والظهور إلا خلال سنة 457هـ /1065م، تاريخ التحالف ضد الملك الناصر بعد خروجه لامتلاك تونس فتعاونت قبيلة الإثبج[1] الهلالية مع أهلهم من رباح وزغبة وزناتة لصد العدوان وانهزم الناصر[2]، ليشهد بعدها المغرب الأوسط زحف هذا العنصر البشري نحو المنطقة.

وقد اتخذت هذه العناصر البشرية ثلاث مسارات رئيسية لدخولها للجزائر، فالمسار الأول كان عن طريق الساحل عبر القالة وعنابة وقسنطينة إلى القل ثم جبال بابور، والثاني الهضاب ما بين الأطلس التلي والصحراوي وصولا إلى وادي الساحل والبيبان، وآخر المسارات عن طريق الصحراء التي زحف إليها من تبسة وجنوب الأوراس[3]، المتمثلة في إقليم الزاب وضواحيه[4].

وكان استقرارهم في هذه المناطق وخاصة القريبة من القلعة الحمادية عنوة وبالقوة، واتسم تدفقهم عليها بصفة متتالية وليست كلية، وتجسدت في قبائل الإثبج وعدي التي اختارت البسائط والتلال وعاشوا فيها حياة البداوة البسيطة الرعوية[5]، وآخرون استقروا في مناطق متفرقة كما اشرنا سابقا.

أما عن السبب وراء تدفقها فنعزيه إلى موقف تميم بن المعز الرامي بمدهم بالمال والسلاح للانتقام من الحماديين الذين لم يحركوا ساكنا في دعمهم ضد الهلاليين[6]، اقتداء بما قام به الفاطميين معهم من إرسالهم ودعمهم للهلاليين وبني سليم في اجتياح افريقية[7].

ولم تلبث هذه الجموع إلا قليلا بعد استقرارها في المناطق المحيطة بالقلعة الحمادية، وهاجمتها وألحقت بها أضرارا كثيرة مما اضطر الناصر لنقل العاصمة لبجاية[8]، وقد عبر ابن خلدون عن الحالة التي عاشتها عاصمة الحماديين اثر هذا الزحف بقوله: "ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها وعاجوا على ما هناك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن، واظهروا في الأرض الفساد... ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر الناصر بن علناس سكنى القلعة، واختط بالساحل مدينة بجاية، ونقل إليها ذخيرته وأعدلها لنزله. ونزلها المنصور ابنه من بعده فرارا من ضيم هذا الجيل وفسادهم بالضواحي إلى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم واستقروا بها بعد، وتركوا القلعة..."[9].

وان المتمعن في قول ابن خلدون وفي خلفيته الدينية يجد أن هذا التحامل في كتابته يعود لانتماء القبائل الهلالية في نظره إلى المذهب الشيعي، أو ربما لانتمائهم السياسي للفاطميين، مما أدى لتحيز ابن خلدون وغيره ونظرتهم المجحفة في حقهم، لأن الهلاليين بقدر ما أثروا بالسلب فإنهم تركوا آثار ايجابية تبناها التمازج الحضاري الثقافي بين الطرفين، وخاصة اللغوي وهذا ما سنوضحه في العنصر التالي.

وبالرجوع لهذه القبائل فإن تواجدها في أراضي الدولة الحمادية لم يبقى عشوائي دون إخضاعها والسيطرة عليها، فقد استطاعت الدولة الحمادية السير وفق آليات محددة وقواعد تضمن مصالحهم الإقليمية ، من خلال ترويضهم وضمهم لجيوش الدولة ومحاربة جيرانهم سواء المرابطين أو غيرهم[10].

وبهذا نجد حسب عبد الحليم عويس "أن الزحف الهلالي بالجزائر كان أقل من ضرره على تونس وطرابلس ، لأن الجزائر لم تكن المقصودة بهذه الحملة ولم تطل بها مدة الحرب"[11]، بالإضافة إلى سياسة استمالة القبائل والسلم التي اتخذها الحماديين، ومنح لهم امتيازات كثيرة داخل الأراضي الحمادية سواء من ناحية استقرارهم أو من ناحية تقديم الامتيازات المادية والمعنوية.

وبالحديث عن التواجد الهلالي في منطقة المغرب الأوسط نكون قد فتحنا باب الحديث عن أهم حلقات التكتلات البشرية والتمازج الثقافي، لأنه أعطى للجزائر صورة جديدة وأدخلها في مصاف العروبة، من خلال طبعها ببصمتها العربية، لنقوم بالإجابة من خلالها على السؤال التالي في العنصر الموالي وهو: "كيف تمت عملية تعريب بلاد المغرب الأوسط في هذه الفترة الوجيزة ؟".

2 . الهلاليين و عملية تعريب منطقة المغرب الأوسط:

إن النظر للحضور الهلالي في المغرب الأوسط بنظرة أكثر دقة وتحليلية بعيدا عن الأحكام السريعة ، والتقييد السياسي الذي تفرضه وتحدده الكتل أو البروبكندات السياسية في تلك الفترة التاريخية، يجعلنا نعرج للنظرة الايجابية بدل تلك السلبية التي لصقت ولزمت تواجدهم في المنطقة المغرب الأوسطية والمغرب الإسلامي ككل.

نظرة ايجابية عبر عنها التأثير اللغوي المنوط بتعريب اللسان المغربي، وفق وتيرة تأثيرية اتسمت بقوة الفاعلية في التأثير والاستمرارية لغاية الاندماج في اللهجة واللسان، مما دوخ الدارسين والباحثين في هذه القضية وخاصة أصحاب المدرسة الاستعمارية الفرنسية، ولم يجدوا أي تفسير يعبر عن مدى سرعة تأثير هذه المجموعة البشرية على المغرب الأوسط والمساهمة في تعريبه بفترة وجيزة، ونجد من بينهم فيكتور بيكي الذي يخلص لفكرة أنه رغم المضار والمساوئ العديدة التي خلفها دخول الهلاليين أول الأمر، إلا أنهم قاموا بتعريب البلاد وتخفيف اللهجات المحلية[12]، مما ميز المنطقة خلال هذا القرن[13] والقرون التي بعده.

فحالة الاستقرار التي عاش فيها هؤلاء العرب في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 5هـ / 11م جعلتهم يكون عنصر من سكان الدولة الحمادية فربطتهم علاقات اجتماعية بين غيرهم من الجماعات خاصة البربرية منها، فتمازجوا وأثروا وعربوا من خلال نشر اللغة العربية في الأرياف[14].

وهكذا نجد أن هجرة بن هلال للمغرب الأوسط تعد الحملة الثانية بعد الفتوحات الإسلامية، فيما يتعلق بالفكر والثقافة، لأنها غيرت من وضعية اللغة العربية في البلاد، وعممتها لدرجة أصبح من العسير التمييز بين العربي والمغربي[15]، مقارنة بالعرب الوافدين خلال الفتح لان الجند الفاتحين المستوطنين أو المهاجرين الفرديين كان عددهم ضئيلا جدا لا يكفي لصبغ المنطقة بصبغة عربية تامة، وكانوا متفرقين في النواحي موزعين وسط التكتلات البربرية مما أدى بهم للاندماج داخل الكل[16]، لتقتصر عملية تعريبهم للمنطقة على المدن وبعض ضواحيها فقط[17] أي أنها لغة الطبقة الحاكمة، والدواوين الرسمية ،أما البربرية (الأمازيغية) فلغة العامية التي يتكلمها القوم أجمعون[18].

وهكذا غلفت المنطقة بصبغة العروبة، أساسها اللغة العربية[19] وقد عبر عن هذه الوضعية أحمد توفيق المدني بقوله: "فكان قدومهم نقمة في طياتها نعمة ، لأن قدومهم أوقع في بادئ الأمر اضطرابا في البلاد، كان يقع مثله وأشنع منه مئات المرات في كل بلاد الدنيا عندما تقع هذه الهجرات الشعبية الكبيرة، إلا أنه قد وطد توطيدا أبديا قدم الإسلام والعربية في هذه الأوطان، وجعل من بلاد الشام الإفريقي موطنا جديدا للثقافة العربية يزدهر مع ازدهارها العلم ويركد مع ركودها"[20]، وكذلك قوله: "وعلى كل فهمجية

الأعراب هي التي طبعت البلاد الجزائرية الطابع العربي أبديا، وركزت فيها اللغة العربية والعقلية العربية على أساس متين"[21] .

وهو نفس الطرح والنظرة الايجابية التي طرحها البشير الإبراهيمي بقوله: "إن بني هلال خربوا ولكنهم عربوا"، أيضا ما تطرق له المؤرخ المصري السيد عبد العزيز سالم بقوله: "كان لغزو الهلالية للمغرب رغم مضاره ومساوئه الكثيرة فصل كبير في تعريب البلاد، وتخفيف حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية، التي لم تصل إليها إشعاعات الحضارة العربية"[22]. و مما سبق نجد أنه أصبح للمغرب الأوسط قومية جديدة[23] ولغة أعطاها له زحف الهلاليين وهو الزحف الثاني للعرب، في مقابل أن الزحف الأول المتمثل في الفتح قدم العقيدة والإيمان[24].

وبانتشار اللغة العربية في أرياف المغرب الناطقة بالبربرية سهل عليهم تحصيل ثقافة إسلامية أتم من تلك التي كانت لديهم والتي لم يكن في وسعهم أن ينموها وهم يجهلون العربية، وتيسر لهم حفظ القرآن الكريم والحديث والإلمام بالتفسير والفقه الإسلامي، نتيجة لم تكن لتتحقق لولا الانصهار الاجتماعي الذي حدث بين العنصر الغازي العربي والساكنة البربرية [25]، وحالة التعايش التي عملت السلطة الحمادية على تحقيقها بين أفراد مجتمعها، رغم أن البعض يخالف هذا الطرح ويرجع حالة التمازج والتأثر إلى كثرة العنصر العربي، إذ يقول صاحب كتاب حضارة العرب عن هذا: "واختلطوا بالسكان رويدا رويدا، وزاد عددهم شيئا فشيئا، وفرضوا بفضل كثرهم على البربر عاداتهم ودينهم ولغتهم بعد بضعة أجيال"[26].

طرح لا يمكن أن نتخذه مرجعية لأننا إذا تفحصنا في التركيبة الاجتماعية وعدد الساكنة لوجدنا بأن البربر هم الأصل والسكان المحليين ومهما كثرت أعداد العرب الهلالية لن يكون هناك مسح ودثر للأصل لأنه الأكثر عددا، وإنما حالة التعريب السريع والتمازج كانت بسبب التعايش والتمازج اليومي لهذه العناصر مع بعضها، إذ يقول في هذا الباب عبد الحميد خالدي "وسارت عملية الاستعراب تبعا لعملية المزج والاحتكاك في الحياة العملية اليومية ، وبدأ المغرب العربي يدخل في عداد الدول المعربة فعلا"[27].

وبهذا القول نختم صفوة الكلام في هذا العنصر بالقول أن عملية التعريب في المغرب الأوسط رغم سرعتها ومدى التمازج والدور الفعال الذي لعبته العرب الهلالية خلفت بصمة قوية في المنطقة وأصبغها بلهجة عربية، يقول البعض من الدارسين في هذا الميدان بأنها الأفصح، وبالنسبة لنا نقول عن هذه الظاهرة الثقافية وعملية التعريب بأنها أحسن ما قام به الهلاليين لأنهم أعطوا المنطقة صفة العروبة وبفضلها حدث تطور فكرى وثقافي في المنطقة تواصل إشعاعاته إلى غاية اليوم.

3. المظاهر اللغوية لتعريب الهلاليين لمنطقة المغرب الأوسط:

يعد تعريب المغرب الأوسط من المظاهر الثقافية التي تسترعى من الباحثين التركيز في مظاهرها وأبرز تجلياتها التي خلفتها نتيجة هذه العملية الحضارية، والتي يمكن أن نحدد معالمها في ركيزتين أساسيتين هما اللهجة والأدب الشعبي.

وهكذا نجد أن الأدب الشعبي وقبله اللهجة الهلالية هي أهم وأبرز التأثيرات التي بصمت بها القبائل وجودها في المغرب الأوسط، و لدرجة قوة وفاعلية هذا التأثير ومدلوليته واستمراريته التي لتزال لغاية اليوم، من خلال اللهجة العامية في الجزائر وخاصة المناطق التي قطنتها القبائل الهلالية، وكذلك في صياغة وأسلوب الأدب الشعبي، وللاطلاع على هذا التأثير حددنا العناصر التالية:

1.3- اللهجة واللغة: لقد استطاع الهلاليين في فترة وجزية وكما ذكرنا سابقا من ترك بصمتهم اللغوية في المغرب الأوسط وتعريب ساكنة المنطقة، ولعل هذا الانتشار نعزيه إلى كون اللغة البربرية لم

تكن لغة علم بل لغة منطوقة والكتابة بها محدودة، فهي تعبر عن لهجة العامة مما جعل القبائل الهلاليين يؤثرون في هذه اللهجة عن طريق لغة تخاطبهم العربية فانتشرت بذلك على نطاق وأساس متين[28].

وهكذا تجلى تأثيرهم اللغوي في نشر لغة تخاطب عربية، ومن الأمثلة على هذا التأثير نذكر ذلك الاحتكاك الذي كان بينهم وبين قبيلة زناتة بالصحراء فعربوها[29]، وهذا يبرز من خلال لهجة كلامهم الواضحة في المناطق التي تواجد فيها لغاية الآن.

لتطغى بذلك لغة التخاطب العربية لقبائل بني هلال على اللسان البربري في المدن والأرياف في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، وينتج عن هذا التأثير اللغوي بروز آداب مميزة وخاصة من شعر ومدائح يتغنى بها العجائز[30].

ولبد أن نشير إلى أن اللغة العربية التي نتحدث عنها هنا لا نقصد بها لغة القرآن الفصيحة المعربة، وإنما العربية العامية، فالهلاليين لم يتكلمون لغة فصيحة وإنما لهجة عربية خاصة[31]، أساسها لسان مضريا حافظوا عليه في المفردات والتراكيب ووجوه البلاغة، وأساليب الخطاب مع تعريب أكثر الأقوال[32]، وهى اللهجة التي اثروا بها في ساكنة المغرب الأوسط فصاروا يتحدثون بها مضيفين إليها كلمات محلية قليلة غير مغيرين من حروفها ولا نبراتها الصوتية إلا ما فرضته طبيعة مناطقهم البربرية تغييره[33].

لتنتج بهذا في بلاد المغرب الأوسط لهجة عربية بلسان جديد[34] اتسمت بالشعبية والانتشار بين العامة في مختلف أرجاء وحدود الدولة الحمادية والمغرب الإسلامي ككل، وقد عبر عن هذا غابرييل كامب بقوله: "تغلب عليها لغة أكثر شعبية، لغة خشنة تخالطها مفردات من البربرية، وتتميز هذه العربية اللهجة نفسها بتنوع كبير ..." [35].

ومن القبائل التي تأثرت باللسان الهلالي وتخلت على رطانتها البربرية نذكر: قبيلة غرار هوارة التي بتبسة وقبيلة ولهاصة التي كانت ببسيط بونة وكذلك قبيلة عجيسة التي كانت بضواحي قلعة بني حماد[36]، ومن مظهر التأثير في النطق واللغة أن الدال في اللغة المحلية البربرية صار تنطق حينما عرب اللسان البربري جيما مخففة، مثل اسم قبيلة عجيسة كان عدس بالدال المشددة وحين التعريب قلبت الدال جيما[37].

ومن هنا نكون قد أفردنا التأثير الهلالي في لهجة ولغة أهل البلاد الحمادية، مبرزين كيف تغير اللسان البربري إلى عربي لا يفرق بينه وبين أهل الجزيرة العربية، بل و أفصح من أهل المنطقة الشامية، دون أن ننسى ذكر تلك الآثار والمخلفات في جانب الأدب الشعبي التي لا تزال لغاية اليوم وهو ما سنوضحه في العنصر التالي.

2.3- الأدب الشعبي: إن الأدب الشعبي من أهم الميادين اللغوية التي يمكن أن نستشف من خلالها التأثيرات اللغوية للقبائل الهلالية، لأنه أكثر تعبيرا عن الواقع والحياة اليومية في المنطقة، بالإضافة إلى سهولة معرفة خصائصه.

وخاصة الشعر لأن اللغة الشعرية قبل الوجود الهلالي بالمغرب الأوسط تعد لغة تقليدية تلتزم بالنمط الكلاسيكي بشكل صارم وتخضع للقواعد وتخلو من أساليب التعبير المحلية ومن الصيغ الشعبية الدارجة، في المقابل تميز الشعر الهلالي بوجود أساليب الشعر وفنونه ماعدا حركات الإعراب في أواخر الكلام فإن أغلب كلماتهم موقوفة الآخر، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول من المبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب. وأوزانه المستعملة من أشهر البحور وأكثرها حيوية وخفة ويزيد توخي الجوازات

الشعرية في الحد من مداها، وهذا ما يؤكد ارتباط الشعر المرتجل المعتمد على ألفاظ الدارجة بالشعراء الهلاليين[38] في المغرب الأوسط.

هؤلاء الشعراء الذين انتشرت قصائدهم بين المثقفين من البربر[39]، ولتجود هم أيضا قرائحهم شعرا، فتشابهت بهذا القصيدة الشعبية المغربية بالقصيدة العربية القديمة[40]. وقد تناولت هذه القصائد مواضيع وسجلات يومياتهم من صيد وعواطف في الغزل بغاية الرقة والطرف، ورغم اتسامها بالجمال والإبداع فإن نخبة علماء المدن كانوا يحتقرونه ويزهدون في روايته وذلك لما فيه من خلل الإعراب الذي هو أصل البلاغة عندهم[41]. كما اعتنى المغاربة أيضا بالأزجال اذ لم تكن المشارقة تحسنه، فهو شعر ملحون بسيط وفيه الحكم[42]. ومن أشعار الهلاليين في المغرب الأوسط نذكر:

الأمل والتفاؤل:

لَابُدَّ بَعْدَ الذُّلِّ يَأْتي عِزُّكَ قَلَّ الفَرْجُ لَابُدَّ يَأْتي كَدَوْرِهِ

التسلح واليقظة من العدو:

قَالَ أَبُو زَيْدٍ الإمامُ الهِلاليُّ بِالسَّيْفِ حَامِي غَزْوَتِيْ وَرِجال

نصائح للمرأة:

أُوصِيكَ يَا اِبْنَتِي بِالْعَقْلِ والْأَدَبِ تَرَي مُنْذِرٍ بَيْنَ المُلوكِ جَلِيلِ
وَأَقْضي لَهُ الْحَاجَاتُ فِي كُلِّ سُرْعَةٍ وَلَا تُكْثِرِي مِنْ اَلْقالِ وَاَلْقيلِ

التأهب للغارة:

شَدُّوَا مَعِي يَا قَوْمٌ عَلَى خُيولِكُمْ عَسَى اللَّهُ يَسْهُلُ المَيْسِرُ[43]

وبحديثنا عن الشعر الشعبي الهلالي في المغرب الأوسط نجد انه ليزال يلعب دورا كبيرا في الساحة الأدبية لغاية الآن، وبرزت في الفترة المدروسة جاليات عربية من الهلاليين في الساحة الأدبية والفكرية، استمر أسلوبها لغاية العصر الحديث خاصة في منطقة الوادي، والأغواط، البويرة، مستغانم، ووهران، وسكان متيجة وهناك منهم من يفتخر بنسبه الهلالي مثل صاحب كتاب الجزائر في القديم والحديث وهو عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مبارك بن محمد الميلي الهلالي رحمه الله[44].

ونكون بذكرنا للأدب الشعبي المتمثل في الشعر قد ختمنا عنصرنا هذا بإبراز أهم مزاياه وخصائصه التي صبغها عليه التواجد الهلالي ليكتب بذلك قصة حياة حكاية فكرية وأشعار تعبر عن حالة وأوضاع العامة من الساكنة في المجتمع الحمادي، وتقدم صورة عن التمازج الاجتماعي والتكافل بين مختلف الأفراد، بقصصهم وتجاربهم، وممارساتهم اليومية البسيطة، من خلال التعبير بلغة عربية بسيطة سهلة توصل مدلولات وتجليات مختلف عن سيميائيات المشاعر لأطيافه.

خاتمة:

في نهاية هذه المقالة التي جاءت تحت عنوان: "التأثيرات اللغوية للهجرات الهلالية على المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي (408-547هـ/1018-1152م)"، نصل إلى النتائج التالية:

- إن التواجد الهلالي في المغرب الأوسط رغم ما خلف ورائه من أثار تخريبية في كثير من المناطق والمدن الحمادية إلا انه لم يكن بمثل تلك النتائج التي أرخ بها في منطقة المغرب الأدنى.
- إن العبقرية القيادية لحكام الدولة الحمادية مكنتهم من اتخاذ سياسة ناجعة في احتواء هذه العناصر الهلالية، وجعلها إحدى عناصر التركيبة الاجتماعية والاستفادة منها في الميدان العسكري والسياسي.

- إن الهلاليين لم يتركوا بصمة سلبية فقط عند دخولهم إلى المغرب الأوسط بل عملوا على نشر المعالم اللغوية للهجة العربية وعربوا المنطقة من شمالها لجنوبها، وأضفوا عليها روحا عربية، ساعدت على إحياء صروح ومراكز الثقافة في الدولة الحمادية، إن لم نجزم بأن الفضل يرجع إليهم في تعريبها خاصة المناطق البعيدة عن مركز السلطة.

- لقد أعطت القبائل الهلالية للمغرب الأوسط لغة تخاطب جديدة بين مختلف عناصره الاجتماعية أكثر سلاسة وبساطة وكلها مفردات تعبيرية استطاعوا من خلالها رواية قصصهم، وواقعهم ومشاعرهم وأحلامهم.

- إن الأدب الشعبي الذي جاء به الهلاليين من طريقة في الطرح والأسلوب هو الذي خلف موروثا أدبيا شعبيا مغرب أوسطيا بلغة عربية ولهجة جديدة امتزجت فيها مفردات العربية ببعض الكلمات الدارجة البربرية مما أعطاها تميزا ومسحة جمالية مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ج6.

الكتب والمقالات والرسائل الجامعية:

1- إبراهيم إسحاق إبراهيم، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان، مركز فيصل للبحوث والدراسات الجامعية، الرياض، ط1، 1996.

2- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.

3- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، تر/ عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987.

4- بن سعيد بن ميرة، بغداد غربي، التعريب في بلاد المغرب ودور قبائل بني هلال في التمكين له، جسور المعرفة، مج 7، ع 2، 2021.

5- بن عريب مصطفي، التوطين الهلالي بالمغرب الأوسط خلال العهد الحمادي من منتصف القرن 5 هـ/11م إلى منتصف القرن 6 هـ/12م (قراءة في طرق وأساليب التوطين وآثاره بتلول وصحراء المغرب الأوسط)، مجلة البحوث التاريخية، مج 5، ع 2، 2021.

6- بن عريب مصطفي، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين (668 هـ/1269م) القرن العاشر والثالث عشر ميلادي، الماجستير، أ/ الطاهر بونابي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017.

7- بن عمير زهير، المظاهر الأسرية في المغرب الأوسط المجتمع الحمادي أنموذجا، دكتوراه، أ/ بكاي هوارية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2021- 2022.

8- بوتشيش أمنة، بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الاسباني دراسة تاريخية وحضارية، دكتوراه، أ/ مبخوت بوداية، لحاج معروف، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016.

9- بولغيتي فاطنة، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى – دراسة لقبائل الغرب الجزائري تاريخية – أنثربولوجية ولغوية، دكتوراه، أ/ مونسي حبيب، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015.

10- خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2003.

11- خالدي عبد الحميد، الحركة الفكرية في المغرب الأوسط (الدولة الحمادية 408 – 547 هـ / 1018- 1152م)، الماجستير، أ/ محمد توفيق حسين، جامعة بغداد، 1983.

12- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

13- طاهر سبع، وقفات مع التاريخ السياسي للدولة الحمادية بالقلعة من خلال كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، مجلة محكمة للدراسات التاريخية، مج 2، ع 1، 2011.
14- عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للطباعة والنشر، ط1، 1991.
15- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965، ج1.
16- عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة، 1995.
17- عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، ط1، 1965.
18- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المكتبة الملكية، الرباط، 1968، ج1.
19- عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.
20- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
21- غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، هنداوي، مصر، 2013.
22- محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط وأثره في النشاط الزراعي والحرفي والتجاري بين القرنيين 5 و 7 هـ/ 11 و 13م، دكتوراه، أ/ الطاهر بونابي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021 -2022.
23- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر - الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009، ج1.

الهوامش:

[1]- هي أكبر بطون الهلاليين، تضم فرع الضحاك وعياض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفة وغيرهم، وفي دريد بطنان توبة وعنز، وكلهم ينسبون إلى ابن ربيعة ابن نهيك بن هلال، فكرفة هو ابن الاثبج، يتصفون بالجمع والقوة، وكانت منهم أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الداخلين لإفريقية، وقطن جبل الأوراس. أنظر: عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ج6، ص 30-31.

[2]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965، ج1، ص 369.

[3]- عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، ط1، 1965، ص 67.

[4]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر - الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2009، ج1، ص 247.

[5]- بن عمير زهير، المظاهر الأسرية في المغرب الأوسط المجتمع الحمادي أنموذجا، دكتوراه، أ/ بكاي هوارية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2021- 2022، ص 67 – 68.

[6]- طاهر سبع، وقفات مع التاريخ السياسي للدولة الحمادية بالقلعة من خلال كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، مجلة محكمة للدراسات التاريخية، مج 2، ع 1، 2011، ص 113 – 114.

[7]- عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، (م/س)، ص 67.

[8]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص 213.

[9]- ديوان المبتدأ، (م/س)، ج6، ص 27-28 .

[10]- انظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للطباعة والنشر، ط1، 1991، ص 178- 179. بوتشيش أمنة، بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الاسباني دراسة تاريخية وحضارية، أ/ مبخوت بوداية، لحاج معروف، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016، ص 110. محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط وأثره في النشاط الزراعي والحرفي والتجاري بين القرنيين 5 و 7 هـ/ 11 و 13م، دكتوراه، أ/ الطاهر بونابي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2021 -2022، ص 50- 51 .

[11]- دولة بني حماد، (م/س)، ص 178.

[12]- خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 196.

[13]- إبراهيم إسحاق إبراهيم، هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان، مركز فيصل للبحوث والدراسات الجامعية، الرياض، ط1، 1996، ص 54.

[14]- بن عمير زهير، المظاهر الأسرية في المغرب الأوسط المجتمع الحمادي أنموذجا، (م/س)، ص 68.

[15]- خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي، (م/س)، ص 194.
[16]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص 129- 130.
[17]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، (م/س)، ص 215.
[18]- انظر: خالدي عبد الحميد، الحركة الفكرية في المغرب الأوسط (الدولة الحمادية 408 – 547 هـ / 1018- 1152م)، الماجستير، أ/ محمد توفيق حسين، جامعة بغداد، 1983، ص 171. خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي، (م/س)، ص 194.عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المكتبة الملكية، الرباط، 1968، ج1، ص 410.
[19]- بولغيتي فاطنة، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى – دراسة لقبائل الغرب الجزائري تاريخية – أنثربولوجية ولغوية، دكتوراه، أ/ مونسي حبيب، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015، ص 114.
[20]- كتاب الجزائر، (م/س)، ص 129.
[21]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، (م/ن)، ص 26.
[22]- نقلا عن: عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص 87.
[23]- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، (م/س)، ج1، ص 410.
[24]- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، (م/ن)، ص 411.
[25]- انظر: ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، (م/س)، ص 220 - 221. عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة، 1995، ص 88.
[26]- غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، هنداوي، مصر، 2013، ص 269.
[27]- الوجود الهلالي السليمي، (م/س)، ص 197.
[28]- بن سعيد بن ميرة، بغداد غربي، التعريب في بلاد المغرب ودور قبائل بني هلال في التمكين له، جسور المعرفة، مج 7، ع 2، 2021، ص 197.
[29]- انظر: خالدي عبد الحميد، الحركة الفكرية، (م/س)، ص 172. خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي، (م/س)، ص 175.
[30]- انظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، (م/س)، ص 236. رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 208.
[31]- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، (م/س)، ج1، ص 410.
[32]- بولغيتي فاطنة، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى، (م/س)، ص 226.
[33]- انظر: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، (م/س)، ج1، ص 410 – 411. بولغيتي فاطنة، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى، (م/س)، ص 223.
[34]- بن عريب مصطفي، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين (668 هـ/ 1269م) القرن العاشر والثالث عشر ميلادي، الماجستير، أ/ الطاهر بونابي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017، ص 109.
[35]- البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 230.
[36]- بن عريب مصطفي، التوطين الهلالي بالمغرب الأوسط خلال العهد الحمادي من منتصف القرن 5 هـ/ 11م إلى منتصف القرن 6 هـ/ 12 م (قراءة في طرق وأساليب التوطين وآثاره بتلول وصحراء المغرب الأوسط)، مجلة البحوث التاريخية، مج 5، ع 2، 2021، ص 90.
[37]- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، (م/س)، ج6، ص 192.
[38]- بن عريب مصطفي، مجتمع المغرب الأوسط، (م/س)، ص 109 – 110.
[39]- بن سعيد بن ميرة، بغدد غربي، التعريب في بلاد المغرب ودور قبائل بني هلال في التمكين له، جسور المعرفة، (م/س)، ص198.
[40]- بولغيتي فاطنة، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى، (م/س)، ص 117.
[41]- بن عريب مصطفي، مجتمع المغرب الأوسط، (م/س)، ص 110.
[42]- بن عريب مصطفي، مجتمع المغرب الأوسط، (م/ن)، ص 110.
[43]- خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي، (م/س)، ص 204-208.
[44]- انظر: خالدي عبد الحميد، الحركة الفكرية في المغرب الأوسط، (م/س)، ص 171- 172. خالدي عبد الحميد، الوجود الهلالي السليمي، (م/س)، ص 195.